حكم طلب الدعاء من الميت (عبارة: يا نبي الله أو يا ولي الله ادع الله لي)

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد . وبعد :
فإنه مما يؤسف له ما وقع من استشكال في مسألة (طلب الدعاء من الميت) المتعلقة بالشرك الأكبر ، فرأيت لزاما علي أن أبين فيها عقيدة أهل التوحيد وما ندين الله به في قائلها ومن لم يكفر بها ، وإليك البيان في هذه المسألة وبالله التوفيق :
أولاً : صورة المسألة : أن يقول قائل لميت عند قبره أو بعيدا عنه يا فلان: ادع الله لي، سواءً كان الميت نبينا محمد ﷺ أو غيره .
وهذه المسألة خصصناها بالذكر لوجود شبهة فيها عند بعض جهال المتأخرين الذين قالوا: أن هذه اللفظة أو هذا الدعاء ليس من دعاء غير الله ﷻ وأن هذا ليس شركا أكبر وإنما من باب الشرك الأصغر أو أنه من الدعاء المحرم .
وكان سبب قول هؤلاء كلام لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه التوسل والوسيلة لم يفهموا معناه : قال:" الثانية: أن يقال للميت أو الغائب من الأنبياء والصالحين أدع الله لي أو ادع لنا ربك أو اسأله لنا كما تقول النصارى لمريم وغيرها فهذا أيضاً غير جائز وأنه من البدع " .
ففهموا أن في قوله " فهذا غير جائز ومن البدع " أن هذا دليل على أنه ليس شركاً أكبر لأنه لو كان شرك أكبر ما قال بدعة .
والحقيقة : أن قول: يا نبي الله أدع الله لي هو من الشرك الأكبر وليس من الشرك الأصغر، وهي مثل أن يقول الإنسان: يا رسول الله اشفع لي وأغثني.

وردنا على قولهم الفاسد من تسعة أوجه:
الأول : أنهم لم يأتوا على هذا القول العظيم الفاسد بدليل من كتاب الله ﷻ ولا من سنة رسوله ﷺ، بل النصوص الصريحة الصحيحة تدل على أن دعاء غير الله شرك أكبر مخرج من الملة مطلقاً، وقد ذكرنا ذلك في شرح الناقض الثاني ولم نفرق بين صفة وصفة، بل أن قولهم يخالف الأدلة المحرمة لدعاء غير الله ﷻ.
الوجه الثاني: أن من قال : يا ولي الله أدع الله لي فقد أشرك، لأن الميت لا يقدر على الإجابة، ودعاء الأموات شرك أكبر مطلقا ولا يكون شركا أصغر، لأنه دعاء من لا يقدر على شيء وهذا من باب الشرك الأكبر.
الوجه الثالث: أنه لا فرق بين قول القائل(ادع الله لي) وبين أن يقول: (اشفع لي) :
فما الفرق بين أن تقول للميت اشفع لي عند الله وبين أن تقول: ادع الله لي ، أليس طلب الدعاء هو الشفاعة ، وقول ادع الله لي هو طلب الشفاعة في الحقيقة، واللفظان بابهما واحد ولا فرق بينهما ، وهذا هو حقيقة الشرك وهو عين قول المشركين (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله).
فكلاهما فيه اتخاذ واسطة للشفاعة وطلب الدعاء وسؤال الميت أمرا لا يقدر عليه، فهي بمعنىً واحد، وأما قولهم: أنه ليس بدعاء، فإنه يقال: ما معنى (ياء) النداء في قول: (يا ولي الله اشفع لي) و(ياولي الله ادع الله لي) ونحو ذلك .
الوجه الرابع: أن اعتقاد أصحاب هذا القول أنه لا يكفر قائل هذه العبارة حتى يقارن قوله الاعتقاد في المدعو، هو عين قول الصوفية القائلة أن لا نعتقد فيهم النفع والضر وإنما ندعوهم لأجل الشفاعة والتقرب والوسيلة .
الوجه الخامس: أننا نقول: ما الفرق بين دعاء الجن والملائكة وبين دعاء الأموات ؟ فما الفرق بين أن يقول : يا جن أفعلي لنا وأعيذينا، وبين أن تقول : يا ولي الله ادع الله لي أو يا ملك أدع الله لي فكلاهما بمعنى واحد ، بل دعاء الميت أشد كفراً وأظهر شركا .
الوجه السادس: أن هذا يخالف ما ثبت وما تقرر عند أئمة الدين وأجمعوا عليه أن دعاء غير الله ﷻ من باب الشرك الأكبر، ومن ذلك قياس دعاء الأموات بدعاء الملائكة ، ومن أقوال أهل العلم :
قال الإمام ابن القيم في مدارج السالكين: (ومن أنواع الشرك طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه إليهم وهذا أصل شرك العالم فإن الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً فضلاً عمن استغاث به وسأله قضاء حاجته وأن يشفع له إلى الله فيها).
والشاهد: (سأله أن يشفع له إلى الله) فهو بمعنى أن يقول : ادع الله لي .
وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن: (إن جاز التعلق بالأموات، جاز أن يستظهر العبد بالحفظة والملائكة الذين هم لا يفارقونهم بيقين، وهذا لا يقوله مسلم أصلاً، بل لو فعله أحد لكان شركاً بالله، فإذا لم يجز ذلك في حق الملائكة الحاضرين فإنه لا يجوز في حق أرواح أموات قد فارقت أجسادها) الرسائل٤/٣٨٥.
قال الشيخ عبد اللطيف يبين حقيقة هذه اللفظة : (في أن قول القائل يا فلان الميت ادع الله لي بالهداية مثل قول يا فلان الميت نجني أو نحو من ذلك، فإن في سؤال الميت مما لا يملك ولا يقدر عليه فلا يقدرون عليه فقد أشرك بالله ﷻ) مصباح الظلام ص: ٢٥٨ .
الوجه السابع: أن قول ابن تيمية رحمه الله (بدعة) لا يعني أنه ليس بشرك أكبر فالأصل أن كل شرك بدعة ، لأن التوحيد هو الأصل وهو السنة المتبعة وهو دين الله تعالى وهو الذي نزل به آدم وأتى به نوح عليهم السلام، والشرك كان دخيلاً على الناس فهو بدعة من هذا الباب .
الوجه الثامن: أن في كلام ابن تيمية رحمه الله رد على من فهم هذا الفهم حيث قال :" كما تقول النصارى لمريم وغيرها " .
وهل ما تقوله النصارى لمريم من الشرك الأكبر أم من الشرك الأصغر ؟!
فإن قالوا : أنه من الشرك الأصغر، فهذا من غاية البطلان إذ أن كفرهم وشركهم متفق على أنه شرك أكبر كدعائهم لمريم وغيرها .
وإن قالوا: شرك أكبر فمعنى ذلك أنه شرك على لسان ابن تيمية، وقوله أن هذا من البدع لا يعني أنه ليس بشرك أكبر وهذا هو الحق والصواب أن في قوله: (أنه غير جائز وأنه من البدع) أنه لا يخرج من كونه شركاً أكبر ولا يعني أنه أصغر ولا يفهم من الكلام غير ذلك.
الوجه التاسع: أن لشيخ الإسلام ابن تيمية نقلا آخر يبين فيه خطأ ما توهمه هؤلاء حيث قال: (وأن إثبات وسائط بين الله وبين خلقه كالحجاب الذين بين الملك ورعيته بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه فالله إنما يهدي عباده ويرزقهم بتوسطهم فالخلق يسألونهم وهم يسألون الله كما أن الوسائط عند الملوك بسبب الملوك حوائج الناس بقربهم منهم والناس يسألونهم أدبا منهم أن يباشروا سؤال الملك أو لأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم للملك لكونهم أقرب إلى الملك من الطالب للحوائج فمن أثبتهم للوسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك) مجموع الفتاوى ١/ ١٢٨.
ووجه كلامه قول الشاهد في قوله :(فالخلق يسألونهم وهم يسألون الله) كأن يقول يا فلان اسأل الله لي وادع الله لي، وفي هذا دلالة على أن دعاء الخلق وسؤالهم بقول: يا فلان ادع الله لي أنه شرك أكبر .
وقال مبينا الشرك بأصحاب القبور : (سواء طلب منهم قضاء الحاجات أو طلب منهم أن يطلبوا ذلك من الله) اقتضاء الصراط ٧٧١، ٧٠٢ ، ٧٩٤ .
وانظر كلام له أيضا في قاعدة جليلة ص:٢٤ ، وقاعدة عظيمة ص:١٢٠

وعليه فعبارة (يا فلان ادع الله لي) والمدعو ميتا ، تعتبر كفرا ناقلا عن الملة ومن شك في كونها شركا أكبر مخرجا من الملة فهو كافر ، ومن حكم بأنها ليست بكفر فإنه يحكم بكفره ولا يعذر بجهله، بل إن مما ينبغي أن يعلم أن مجرد أن يزعم أن هذه العبارة مسألة خلافية يصير مشركا مرتدا يجب أن يستتاب من قوله ، لأن حقيقة قوله تصحيح الشرك والشك فيه وأن الكفر محل خلاف . فليتنبه لهذا القول الخطير وليرعوي من يفتي بأن هذه العبارة ليست بكفر وأنها محل خلاف ، وعليه أن يتأمل الأدلة ويتفهم أمور دينه . والله أعلم وصلى على نبينا محمد .

كتبه : خالد بن علي المرضي الغامدي
١٠ / ٢ / ١٤٢٣هـ